

خطبة عَبَّأِ بْنِ عَبَّأِ الْخَوَّاصِ الشَّاهِدِيِّ

شرح

الشيخ د. صالح بن عبد الله الزبيدي

المقامة في مسجد الخيرات بحي الدعيثة بالمدينة النبوية

لعام ١٤٣٢ هـ

شُعِلَ قَلْبُهُ بِبِدْعَةٍ قَلَّدَ فِيهَا دِينَهُ رِجَالًا دُونَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ اكَتَفَى
 بِرَأْيِهِ فِيمَا لَا يَرَى الْهُدَى إِلَّا فِيهَا وَلَا يَرَى الضَّلَالَةَ إِلَّا بِتَرْكِهَا، يَزْعُمُ أَنَّهُ أَخَذَهَا مِنْ
 الْقُرْآنِ وَهُوَ يَدْعُو إِلَى فِرَاقِ الْقُرْآنِ، أَمَّا كَانَ لِلْقُرْآنِ حَمَلَةٌ قَبْلَهُ وَقَبْلَ أَصْحَابِهِ
 يَعْمَلُونَ بِمُحْكَمِهِ وَيُؤْمِنُونَ بِمُتَشَابِهِهِ، وَكَانُوا مِنْهُ عَلَى مَنَارٍ كَوَضَحِ الطَّرِيقِ،
 فَكَانَ الْقُرْآنُ إِمَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِمَامًا لِأَصْحَابِهِ وَكَانَ أَصْحَابُهُ
 أُمَّةً لِمَنْ بَعْدَهُمْ، رِجَالٌ مَعْرُوفُونَ مَنَسُوبُونَ فِي الْبُلْدَانِ، مُتَّفِقُونَ فِي الرَّدِّ عَلَى
 أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ مَعَ مَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْاِخْتِلَافِ، وَتَسَكَّعَ أَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ بِرَأْيِهِمْ

فِي سُبُلٍ مُخْتَلِفَةٍ جَائِرَةٍ عَنِ الْقَصْدِ مُفَارِقَةٍ لِلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَتَوَهَّتْ بِهِمْ
 أَدْلَاؤُهُمْ فِي مَهَامِهِ مُضِلَّةٌ، فَأَمَعُوا فِيهَا مُتَعَسِّفِينَ فِي تَيْهِهِمْ، كُلَّمَا أَحْدَثَ لَهُمْ
 الشَّيْطَانُ بِدْعَةً فِي ضَلَالَتِهِمْ انْتَقَلُوا مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَطْلُبُوا أَثَرَ السَّالِفِينَ
 وَلَمْ يَقْتَدُوا بِالْمُهَاجِرِينَ. وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ لِرِيَادٍ: هَلْ تَدْرِي مَا يَهْدُمُ
 الْإِسْلَامَ؟ زَلَّةُ عَالِمٍ وَجِدَالٌ مُنَافِقٌ بِالْقُرْآنِ وَأَيْمَةٌ مُضِلُّونَ، اتَّقُوا اللَّهَ وَمَا حَدَّثَ فِي
 قُرَائِكُمْ وَأَهْلِ مَسَاجِدِكُمْ مِنَ الْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْمَشْنِيِّ بَيْنَ النَّاسِ بِوَجْهَيْنِ
 وَلِسَانَيْنِ، وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ مَنْ كَانَ ذَا وَجْهَيْنِ فِي الدُّنْيَا كَانَ ذَا وَجْهَيْنِ فِي النَّارِ،

يَلْقَاكَ صَاحِبُ الْغَيْبَةِ فَيَعْتَابُ عِنْدَكَ مَنْ يَرَى أَنَّكَ تُحِبُّ غَيْبَتَهُ وَيُخَالَفُكَ إِلَى
صَاحِبِكَ فَيَأْتِيهِ عَنْكَ بِمِثْلِهِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ أَصَابَ عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ حَاجَتَهُ
وَحَفِيَّ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا أُتِيَ بِهِ عِنْدَ صَاحِبِهِ، حُضُورُهُ عِنْدَ مَنْ حَضَرَهُ
حُضُورُ الْإِخْوَانِ وَغَيْبَتُهُ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهُ غَيْبَةُ الْأَعْدَاءِ، مَنْ حَضَرَ مِنْهُمْ كَانَتْ لَهُ
الْأَثَرَةُ وَمَنْ غَابَ مِنْهُمْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حُرْمَةٌ، يَفْتِنُ مَنْ حَضَرَهُ بِالتَّزَكِيَةِ وَيَعْتَابُ مَنْ
غَابَ عَنْهُ بِالْغَيْبَةِ، يَا لِعِبَادِ اللَّهِ أَمَا فِي الْقَوْمِ مِنْ رَشِيدٍ وَلَا مُصْلِحٍ؟ يَقْمَعُ هَذَا عَنْ
مَكِيدَتِهِ وَيَرُدُّهُ عَنْ عَرِضِ أَحْيِهِ الْمُسْلِمِ، بَلْ عَرَفَ هَوَاهُمْ فِيمَا مَشَى بِهِ إِلَيْهِمْ

فَاسْتَمَكْنَ مِنْهُمْ وَأَمَكْنُوهُ مِنْ حَاجَتِهِ، فَأَكَلَ بِدِينِهِ مَعَ أَدْيَانِهِمْ. فَاللَّهُ اللَّهُ ذُبُّوا عَنْ حُرْمِ أَعْيَابِكُمْ وَكُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ عَنْهُمْ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ، وَنَاصِحُوا اللَّهَ فِي أُمَّتِكُمْ إِذْ كُنْتُمْ حَمَلَةَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّ الْكِتَابَ لَا يَنْطِقُ حَتَّى يُنْطَقَ بِهِ، وَإِنَّ السُّنَّةَ لَا تَعْمَلُ حَتَّى يُعْمَلَ بِهَا. فَمَتَى يَتَعَلَّمُ الْجَاهِلُ إِذَا سَكَتَ الْعَالِمُ فَلَمْ يُنْكِرْ مَا ظَهَرَ وَلَمْ يَأْمُرْ بِمَا تُرِكَ؟ وَقَدْ ﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾. اتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ رَقَّ فِيهِ الْوَرَعُ وَقَلَّ فِيهِ الْخُشُوعُ وَحَمَلَ الْعِلْمُ مَفْسِدُوهُ، فَأَحْبُوا أَنْ يُعْرَفُوا بِحَمَلِهِ، وَكَرَهُوا أَنْ يُعْرَفُوا بِإِضَاعَتِهِ، فَنَطَّقُوا فِيهِ

لِي جَعَلْتُ صَمْتَهُ حَمْدًا وَوَقَارًا لِي وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ
حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لَمْ يَعْمَلُوا بِهَا ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾
كُتِبَ، وَقَالَ ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ قَالَ الْعَمَلُ بِمَا فِيهِ، وَلَا تَكْتَفُوا مِنَ السُّنَّةِ
بِائْتِحَالِهَا بِالْقَوْلِ دُونَ الْعَمَلِ بِهَا، فَإِنَّ ائْتِحَالَ السُّنَّةِ دُونَ الْعَمَلِ بِهَا كَذِبٌ بِالْقَوْلِ
مَعَ إِضَاعَةِ الْعَمَلِ، وَلَا تَعْيُوهَا بِالْبَدْعِ تَزِينًا بَعِيْهَا، فَإِنَّ فَسَادَ أَهْلِ الْبَدْعِ لَيْسَ بِزَائِدٍ
فِي صَلَاحِكُمْ، وَلَا تَعْيُوهَا بَعِيًا عَلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ الْبَغْيَ مِنْ فَسَادِ أَنْفُسِكُمْ، وَلَيْسَ
يَنْبَغِي لِلطَّبِيبِ أَنْ يُدَاوِيَ الْمَرَضَى بِمَا يُرِيئُهُمْ وَيُمْرِضُهُ، فَإِنَّهُ إِذَا مَرَضَ اشْتَعَلَ

وَتَأْتُونَ مِثْلَ ذَلِكَ فَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يُوجَدَ عَلَيْكُمْ، أَنَّهُمْوَا رَأَيْكُمْ وَرَأَى أَهْلَ زَمَانِكُمْ
وَتَشْتَبَهُوا قَبْلَ أَنْ تَكَلِّمُوا، وَتَعَلَّمُوا قَبْلَ أَنْ تَعْمَلُوا، فَإِنَّهُ يَأْتِي زَمَانٌ يَشْتَبُهُ فِيهِ الْحَقُّ
وَالْبَاطِلُ وَيَكُونُ الْمَعْرُوفُ فِيهِ مُنْكَرًا وَالْمُنْكَرُ فِيهِ مَعْرُوفًا، فَكَمْ مِنْ مُتَقَرَّبٍ إِلَى
اللَّهِ بِمَا يُبَاعِدُهُ وَمُنْتَجِبٍ إِلَيْهِ بِمَا يُغْضِبُهُ عَلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ زِينَ لَهُ
سُوءُ عَمَلِهِ فَرَأَاهُ حَسَنًا﴾ الْآيَةَ.. فَعَلَيْكُمْ بِالْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ حَتَّى يَبْرُزَ لَكُمْ
وَاضِحُ الْحَقِّ بِالْبَيِّنَةِ، فَإِنَّ الدَّاحِلَ فِيمَا لَا يَعْلَمُ بَعِيرٌ عِلْمِ آثِمٍ، وَمَنْ نَظَرَ لِلَّهِ نَظَرَ اللَّهِ
لَهُ، عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَاتَّمُوا بِهِ وَأُمُوا بِهِ، وَعَلَيْكُمْ بِطَلَبِ أَثَرِ الْمَاضِينَ فِيهِ. وَلَوْ أَنَّ

